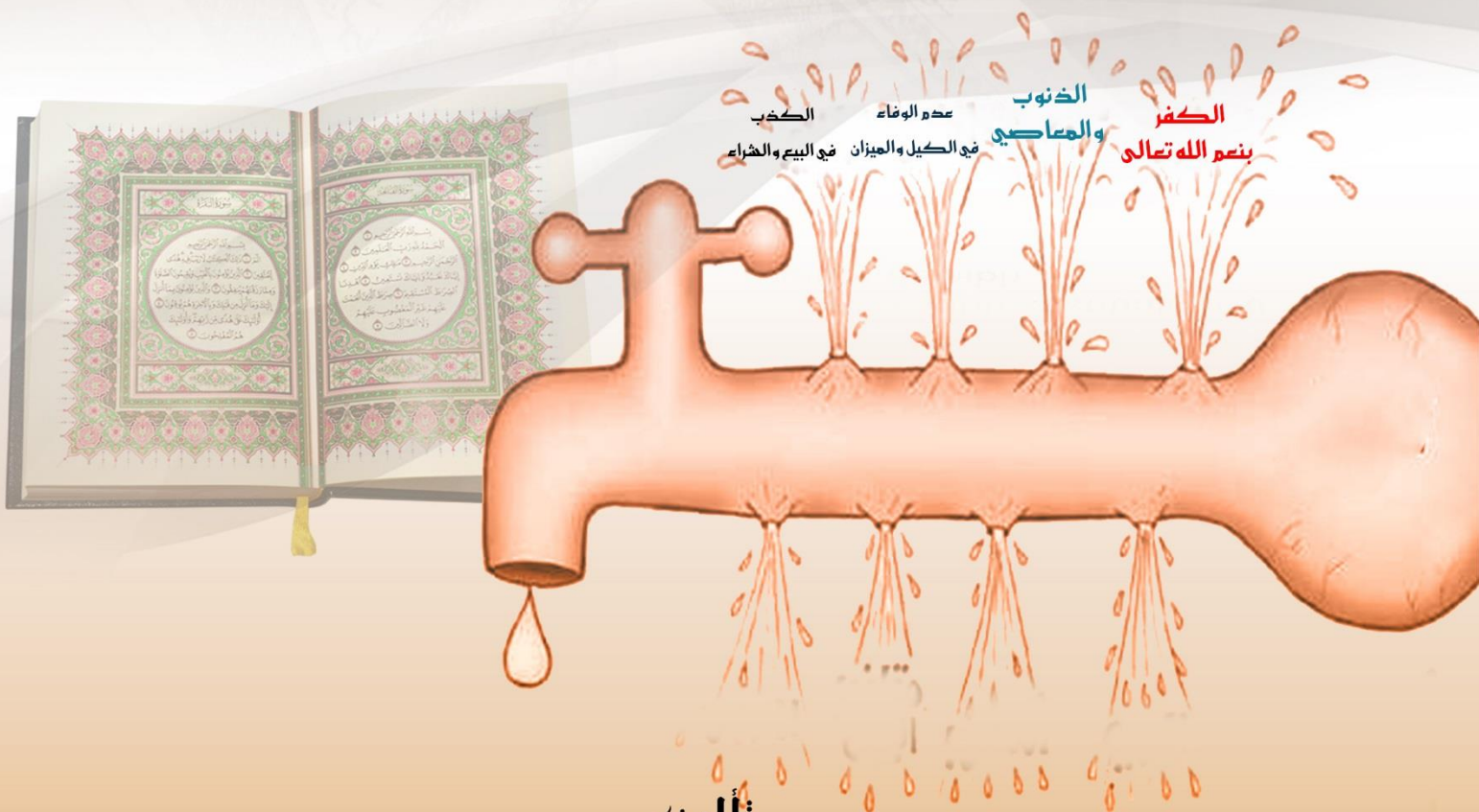


أسباب غلاء الأسعار

هقلة البركة من منظور الشرع



تأليف

الشيخ السيّد مراد سلامة

الألوكة

www.alukah.net

أسباب غلاء الأسعار

وقلة البركة من منظور الشرع

تأليف

الشيخ السيد مراد سلامة

{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٢٧]

كتاب قد حوى درراً بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيهاً حقوق الطبع محفوظة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الناشر

المكتبة المرادية

سنة النشر 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده وستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ (١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ (٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) ﴾ (٣)

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ووقفت في هذا الكتاب مع القول الفصل في أساس المشكلة التي هي غلاء الأسعار وبينت أن أسباب ذلك يرجع إلى الذنوب والمعاصي التي نرتكبها ولا نبالي بها فإن الذنوب تزيل النعم، فما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة، فما نعانى الآن من غلاء في الأسعار إنما هو بما كسبت أيدينا قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٤) يقول السعدي - رحمه الله -

يخبر تعالى، أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزا عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ وليس إهمالا منه تعالى تأخير العقوبات ولا عجزا.

﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: معجزين قدرة الله عليكم، بل أنتم عاجزون في الأرض، ليس عندكم امتناع عما ينفذه الله فيكم. ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴾ يتولاكم، فيحصل لكم المنافع ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ يدفع عنكم المضار (٥) وكشفت في هذا الكتاب عن أسباب عديدة يحسبها العبد هينة وهي عند الله تعالى - عظيمة تؤدي إلى غلاء الأسعار

١ - [آل عمران/ ١٠٢]

٢ - [النساء/ ١]

٣ - [الأحزاب/ ٦٩-٧١]

٤ - [الشورى: ٣٠، ٣١]

٥ - تفسير السعدي (ص: ٧٥٩)

الفصل السابع ١ الأسباب الجالبة للبركة

واعلم أخي القارئ أن دواء تلك الجروح والأمراض قد بينه الله تعالى في كتابه وبنين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصدق ذلك قوله تعالى {وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) (٦)}

وقد ذكرت لك أخي المسلم الأسباب الجالبة للبركة في مناحي الحياة وهي الوسائل الشرعية التي دلنا عليها خير البرية - صلى الله عليه وسلم -

وتأمل أخي كيف كان حال السلف وكيف كانوا يرفعونه بالتوبة والأوبة

قيل لبعض السلف: " غلت الأسعار قال: أخفضوها بالاستغفار "

* قيل لأعرابي: لقد أصبح رغيف الخبز بدينار!

فأجاب: والله ما همني ذلك ولو أصبحت حبه القمح بدينار. أنا أعبد الله كما أمرني وهو يرزقني كما وعدني !!!
*أتى الناس إلى سلمه بن دينار فقالوا له: يا أبا حازم أما ترى قد غلا السعر !!! فقال: " وما يغمكم من ذلك ؟!! " إن الذي يرزقنا في الرخص هو الذي يرزقنا في الغلاء..

*قال رجل ل أحد الصالحين: إن الخبز قد غلا ثمنه !!! فقال: والله لا أبالي لو أصبحت كل حبه بدينار فعلينا أن نعبد الله كما أمرنا وهو سيرزقنا كما وعدنا.

الفصل الأول مفهوم البركة في القرآن والسنة

معنى البركة اعلم علمني الله وإياك: أن للبركة معان عديدة كلها تصب في معنى النماء والزيادة والخير يقول ابن منظور - رحمه الله - البركة النماء والزيادة والتبريك الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة يقال بَرَكْتُ عليه تبريكا أي قلت له بارك الله عليك وبارك الله الشيء وبارك فيه وعليه وضع فيه البركة وطعام بَرِيك كأنه مُبارك (٧) يقول محمد بن محمد الزبيدي: البركة محرّكة: النماء والزيادة وقال الفراء: البركة: السعادة وبه فُسِّرَ قوله تعالى: " رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ " لِأَنَّ مَنْ أَسْعَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَسْعَدَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ نَالَ السَّعَادَةَ الْمُبَارَكَةَ الدَّائِمَةَ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وكذلك الذي في التَّشْهِيدِ (٨)

يقول الخازن - رحمه الله - { لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض } وبركات السماء المطر وبركات الأرض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والأنعام والأرزاق والأمن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله تعالى وإحسانه على عباده. وأصل البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء وسمي المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نابت الأرض لأنه نشأ عن بركات السماء وهي المطر. وقال البغوي: أصل البركة المواظبة على الشيء. أي تابعا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الأرض ورفعنا عنهم القحط والجذب (٩)

أصل البركة واعلموا رحمكم الله أنه لا يوجد إلا طريق واحد يستمد منه العبد البركة الحسية والمعنوية والبركة في الدنيا الآخرة فمنه وإليه سبحانه تعالى البركة، وهو المبارك جل وعز بيده الخير كله، والبركة كلها له، وهو سبحانه يختص بعض خلقه بما يشاء من الخير والفضل والبركة

الفصل الثاني: أسباب غلاء الأسعار

من المظاهر التي لحظها أغلب الناس اليوم واتفقت فيها كلمة أكثرهم حتى لا يكاد يختلف فيها اثنان قلة البركة في الأموال والأولاد، وعدم الانتفاع بالأرزاق والأبناء، حتى إن الرجل ليكون مرتبه عاليًا ودخله جيدًا وأبناءؤه عُصْبَةً من الرجال الأقوياء الأشداء ثم تراه يقترض ويستدين، ويعيش في بيته وحيدًا أو مع زوجه العجوز لا أحد من أبنائه يحذب عليه أو يلتفت إليه. ولربما دخل كثير من الناس السوق وجيبه مليء بالمال، فلا يخرج إلا وهو صفر اليدين أو قد تحمّل شيئًا من الدين، وعندما ينظر فيما أتى به من أغراض وحاجات لأهله لا يجد إلا أشياء كمالية صغيرة، يحملها بين يديه بلا عناء، ولا تساوي ما أنفق فيها من مال.

٧ - لسان العرب - (ج ١٠ / ص ٣٩٥)

٨ - تاج العروس - (ج ١ / ص ٦٦٤٦)

٩ - تفسير الخازن - (ج ٣ / ص ٦٩)

وإن هذا الأمر ليس قضية عارضة أو مسألة هينة، بل هو في الواقع يشكل ظاهرة ملموسة وقضية محسوسة، ويعد منحنى خطيراً في حياة المجتمع المسلم، يجب على كل فرد أن يدرسه ويتعرف أسبابه، ويبحث عن حله الناجح وعلاجه الناجع، فيأخذ به ويقي نفسه، لعل الله أن ينجيه مما ابتلي به غيره من الناس، أو مما قد يكون هو نفسه مبتلى به.

إننا يجب أن نعلق أنفسنا بهذا الدين العظيم الذي ندين الله عز وجل به في كل أمورنا، يجب أن نرتبط به في جميع مناحي حياتنا، وأن ندرس تحت مظلة قضايانا، ونحل به مشكلاتنا، وأن نعلم أننا مهما تمسكنا به وعضضنا عليه بالنواجذ فلن نضل ولن نشقى بتوفيق الله، وأنا بقدر ما نبتعد عنه أو ننحرف عن صراطه المستقيم أو نتخلى عن تعاليمه السمحة المباركة أو نتهاون بها فإننا نهوي إلى مكان مُوحش سَحِيق، ونلقي بأنفسنا في مجاهل من المستقبل المتردي الذي لا يعلم ما يكون عليه إلا الله

فما هي الأسباب الماحقة المانعة للبركة الجالبة لغلاء الأسعار
اعلم علمني الله وإياك: أن هناك جملة من الأسباب المحقة للبركة نذكر منها:
في هذا الفصل اهم الأسباب التي تحقق البركة وتسبب غلاء في الأسعار

أولاً: الكفر بنعم الله تعالى

يقول الله - تعالى - {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) (١)}

قال بعض أهل العلم: «إن هذا مثل ضربه الله لأهل مكة»، وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وإليه ذهب مجاهد وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وحكاها مالك عن الزهري رحمهم الله، نقله عنهم ابن كثير وغيره. فهذه القرية كانت في أمن وخير وبركة ولكنها كفر بما أنعم الله عليها وتعدت حدوده ولم تؤمن برسوله فكان جزاؤها ما أخبر الله تعالى من تحول الأمن إلى خوف والنعمة إلى جوع وضنك وما ربك بظلام للعبيد

يقول سيد قطب - رحمه الله - {فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون} وأخذ قومها العذاب وهم ظالمون.

ويجسم التعبير الجوع والخوف فيجعله لباساً؛ ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقاً، لأن الذوق أعمق أثراً في الحس من مساس اللباس للجلد. وتتداخل في التعبير استجابات الحواس فتضاعف مس الجوع والخوف لهم ولذعه وتأثيره وتغلغله في النفوس. لعلهم يشفقون من تلك العاقبة التي تنتظرهم لتأخذهم وهم ظالمون.

١٠ - [سورة النحل: ١١٢]

وفي ظل هذا المثل الذي تخايل فيه النعمة والرزق، كما يخايل فيه المنع والحرمان، يأمرهم بالأكل مما أحل لهم من الطيبات وشكر الله على نعمته إن كانوا يريدون أن يستقيموا على الإيمان الحق بالله، وأن يخلصوا له العبودية خالصة من الشرك، الذي يوحي إليهم بتحريم بعض الطيبات على أنفسهم باسم الآلهة المدعاة (١١)

وهناك مثال آخر في القرآن ضربه الله عز وجل لقوم أغدق الله عليهم النعم وعاشوا في نعيم ورفاهية ولكنهم لم يشكروا تلك النعم بل بطروا وكفروا النعمة إنهم قوم سبأ يقول الله تعالى { لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفُرَّى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا فُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِنَا فَتَنْتَهُنَّ أَلَّا يَكْفُرُوا بِالْآيَاتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) }

يقول السعدي - رحمه الرب العلي - سبأ قبيلة معروفة في أداني اليمن، ومسكنهم بلدة يقال لها "مأرب" ومن نعم الله ولطفه بالناس عموماً، وبالعرب خصوصاً، أنه قص في القرآن أخبار المهلكين والمعاقبين، ممن كان يجاور العرب، ويشاهد آثاره، ويتناقل الناس أخباره، ليكون ذلك أدعى إلى التصديق، وأقرب للموعظة فقال: { لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ } أي: محلهم الذي يسكنون فيه { آيَةٌ } والآية هنا: ما أدر الله عليهم من النعم، وصرف عنهم من النقم، الذي يقتضي ذلك منهم، أن يعبدوا الله ويشكروه. ثم فسر الآية بقوله { جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ } وكان لهم واد عظيم، تأتيه سيول كثيرة، وكانوا بنوا سداً محكماً، يكون مجمعا للماء، فكانت السيول تأتيه، فيجتمع هناك ماء عظيم، فيفرقونه على بساتينهم، التي عن يمين ذلك الوادي وشماله. وتُغْلُّ لهم تلك الجنتان العظيمتان، من الثمار ما يكفيهم، ويحصل لهم به الغبطة والسرور، فأمرهم الله بشكر نعمه التي أدرها عليهم من وجوه كثيرة، منها: هاتان الجنتان اللتان غالب أوقاتهم منهما.

ومنها: أن الله جعل بلدهم، بلدة طيبة، لحسن هوائها، وقلة وخمها، وحصول الرزق الرغد فيها.

ومنها: أن الله تعالى وعدهم - إن شكروه - أن يغفر لهم ويرحمهم، ولهذا قال: { بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ }

١١ - في ظلال القرآن - (ج ٤ / ص ٤٩٥)

١٢ - [سورة سبأ: ٢١/١٥]

ومنها: أن الله لما علم احتياجهم في تجارتهم ومكاسبهم إلى الأرض المباركة، - الظاهر أنها: [قرى صنعاء] قاله غير واحد من السلف، وقيل: إنها] الشام - هياً لهم من الأسباب ما به يتييسر وصولهم إليها، بغاية السهولة، من الأمن، وعدم الخوف، وتواصل القرى بينهم وبينها، بحيث لا يكون عليهم مشقة، بحمل الزاد والمزاد.

ولهذا قال: { وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ } أي: [سيرا] مقدرا يعرفونه، ويحكمون عليه، بحيث لا يتيهون عنه { لَيْلِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ } أي: مطمئنين في السير، في تلك الليالي والأيام، غير خائفين. وهذا من تمام نعمة الله عليهم، أن أمنهم من الخوف.

فأعرضوا عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة، وملوها، حتى إنهم طلبوا وتمنوا، أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى، التي كان السير فيها متييسرا.

{ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ } بكفرهم بالله وبنعمته، فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة، التي أطغتهم، فأبادها عليهم، فأرسل عليها سيل العرم.

أي: السيل المتوعر، الذي خرب سددهم، وأتلف جناحتهم، وخرب بساتينهم، فتبدلت تلك الجنات ذات الحقائق المعجبة، والأشجار المثمرة، وصار بدلها أشجار لا نفع فيها، ولهذا قال: { وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ } أي: شيء قليل من الأكل الذي لا يقع منهم موقعا { حَمَاطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ } وهذا كله شجر معروف، وهذا من جنس عملهم.

فكما بدلوا الشكر الحسن، بالكفر القبيح، بدلوا تلك النعمة بما ذكر، ولهذا قال: { ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا

وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ } أي: وهل نجازي جزاء العقوبة - بدليل السياق - إلا من كفر بالله وبطر النعمة؟ فلما أصابهم ما أصابهم، تفرقوا وتمزقوا، بعدما كانوا مجتمعين، وجعلهم الله أحاديث يتحدث بهم، وأسما را للناس، وكان يضرب بهم المثل فيقال: "تفرقوا أيدي سبأ" فكل أحد يتحدث بما جرى لهم، ولكن لا ينتفع بالعبرة فيهم إلا من قال الله: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } صبار على المكار والشدائد، يتحملها لوجه الله، ولا يتسخطها بل يصبر عليها. شكور لنعمة الله تعالى يُقَرُّ بها، ويعترف، ويثني على من أولاهها، ويصرفها في طاعته. فهذا إذا سمع بقصتهم، وما جرى منهم وعليهم، عرف بذلك أن تلك العقوبة، جزاء لكفرهم نعمة الله، وأن من فعل مثلهم، فُعلَ به كما فعل بهم، وأن شكر الله تعالى، حافظ للنعمة، دافع للنقمة، وأن رسل الله، صادقون فيما أخبروا به، وأن الجزاء حق، كما رأى أنموذجه في دار الدنيا. (١٣)

فكان جزاء الكفر بالنعمة وبالمنعم زوالها وتمزقهم أيدي سباً وأصبحوا عبرة لكل صبار شكور والله در ابن القيم إذ يقول: ومن تأمل ما قص الله تعالى في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره وما أزال الله عنهم من نعمه وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب كما قيل

إذا كنت في نعمة فارعها*** فإن المعاصي تزيل النعم

فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره ولا زالت عن العبد بمثل معصيته لربه فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس^(١٤)

ثانيا الذنوب والمعاصي

ومن عقوباتها أنها تحقق بركة العمر وبركة الرزق وبركة العلم وبركة العمل وبركة الطاعة وبالجملة أنها تحقق بركة الدين والدنيا فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه وديناه ممن عصي الله وما محت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق قال الله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال تعالى { وَأَنَّ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) }^(١٥) وأن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه وفي الحديث أن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته وإن الله جعل الروح والفرح في الرضاء واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وقد تقدم الأثر الذي ذكره أحمد في كتاب الزهد أنا الله إذا رضيت باركت وليس لبركتي منتهى وإذا غضبت لعنت ولعنتي تدرك السابع من الولد وليست سعة الرزق والعمل بكثرتة ولا طول العمر بكثرة الشهور والأعوام ولكن سعة الرزق والعمر بالبركة فيه وقد تقدم أن عمر العبد هو مدة حياته ولا حياة لمن أعرض عن الله واشتغل بغيره بل فحياة البهائم خير من حياته فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره ومحبه وعبادته وحده أو الإنابة إليه والطمأنينة بذكره والأنس بقربه ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كله ولو تعوض عنها بما تعوض به الدنيا بل ليست الدنيا بأجمعها عوضا عن هذه الحياة فمن كل شيء يفوت العبد عوض وإذا فاته الله لم يعوض عنه شيء البتة وكيف يعوض الفقير بالذات عن الغنى بالذات والعاجز بالذات عن القادر بالذات والميت عن الحي الذي لا يموت والمخلوق عن الخالق ومن لا وجود له فلا شيء له من ذاته البتة عمن غناء وحياته وكماله ووجوده ورحمته من لوازم ذاته

^{١٤} - بدائع الفوائد [جزء ٢ - صفحة ٤٣٢]

^{١٥} - [سورة الجن: ١٦/١٧]

وكيف يعوض من لا يملك مثقال ذرة عمن له ملك السموات والأرض وإنما كانت معصية الله سببا لمحق بركة الرزق والأجل لان الشيطان موكل بها وبأصحابها فسلطانه عليهم وحوالته على هذا الديون وأهله وأصحابه وكل شيء يتصل به الشيطان ويقارنه فبركته محوقة ولهذا شرع ذكر اسم الله تعالى عند الأكل والشرب واللبس والركوب والجماع لما في مقارنة اسم الله من البركة وذكر اسمه يطرد الشيطان فتحصل البركة ولا معارض لها وكل شيء لا يكون لله فبركته منزوعة فان الرب هو الذي يبارك وحده والبركة كلها منه وكلما نسب إليه مبارك فكلامه مبارك ورسوله مبارك وعبداه المؤمن النافع لخلقه مبارك وبيته الحرام مبارك وكنائنه من أرضه وهى الشام أرض البركة وصفها بالبركة في ست آيات من كتابه فلا مبارك إلا هو وحده ولا مبارك إلا ما نسب إليه أعنى إلى محبته وألوهيته ورضاه وإلا فالكون كله منسوب إلى ربوبيته وخلقه وكلما باعده من نفسه من الأعيان والأقوال والأعمال فلا بركة فيه ولا خير فيه وكلما كان منه قريبا من ذلك ففيه من البركة على قدر قربته منه وضد البركة اللعنة فأرض لعنها الله أو شخص لعنه الله أو عمل لعنه الله أبعد شيء من الخير والبركة وكلما اتصل بذلك وارتبط به وكان منه بسبيل فلا بركة فيه البتة وقد لعن عدوه إبليس وجعله أبعد خلقه منه فكل ما كان من جهته فله من لعنة الله بقدر قربته منه واتصاله فمن ههنا كان للمعاصي أعظم تأثير في محق بركة العمر والرزق والعلم والعمل فكل وقت عصيت الله فيه أو مال عصى الله به أو بدن أو جاه أو علم أو عمل فهو على صاحبه ليس له فليس له من عمره وماله وقوته وجاهه وعلمه وعمله إلا ما أطاع الله به ولهذا من الناس من يعيش في هذه الدار مائة سنة أو نحوها ويكون عمره لا يبلغ عشرين سنة أو نحوها كما أن منهم من يملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ويكون ماله في الحقيقة لا يبلغ ألف درهم أو نحوها وهكذا الجاه والعلم وفي الترمذي عنه الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله عز وجل وما والاه أو عالم أو متعلم وفي أثر آخر ملعونة ما فيها إلا ما كان لله هذا هو الذي فيه البركة خاصة والله المستعان (١٦)

الربا ماحق للبركة

ومن أعظم الذنوب الربا فانه يحقق البركة في كل شيء

{ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَحْقُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) (١٧)

يقول سيد قطب - رحمه الله - الوجه الآخر المقابل للصدقة التي عرض دستورها في الدرس الماضي .. الوجه الكالح الطالح هو الربا!

الصدقة عطاء وسماحة، وطهارة وزكاة، وتعاون وتكافل. والربا شح، وقذارة ودنس، وأثرة وفردية.. والصدقة نزول عن المال بلا عوض ولا رد. والربا استرداد للدين ومعه زيادة حرام مقتطعة من جهد المدين أو من لحمه. من جهده إن كان قد عمل بالمال الذي استدانه فربح نتيجة لعمله هو وكده. ومن لحمه إن كان لم يربح أو خسر، أو كان قد أخذ المال للنفقة منه على نفسه وأهله ولم يسترجعه شيئاً..

ومن ثم فهو -الربا- الوجه الآخر المقابل للصدقة.. الوجه الكالح الطالح!

لهذا عرضه السياق مباشرة بعد عرض الوجه الطيب السمع الطاهر الجميل الودود! عرضه عرضاً منفراً، يكشف عما في عملية الربا من قبح وشناعة. ومن جفاف في القلب وشر في المجتمع، وفساد في الأرض وهلاك للعباد. ولم يبلغ من تفضيع أمر أراد الإسلام إبطاله من أمور الجاهلية ما بلغ من تفضيع الربا. ولا بلغ من التهديد في اللفظ والمعنى ما بلغ التهديد في أمر الربا - في هذه الآيات وفي غيرها في مواضع أخرى - والله الحكمة البالغة. فلقد كانت للربا في الجاهلية مفاصده وشروره. ولكن الجوانب الشائنة القبيحة من وجهه الكالح ما كانت كلها بادية في مجتمع الجاهلية كما بدت اليوم وتكشفت في عالمنا الحاضر، ولا كانت البثور والدمامل في ذلك الوجه الدميم مكشوفة كلها كما كشفت اليوم في مجتمعنا الحديث. فهذه الحملة المفزعة البادية في هذه الآيات على ذلك النظام المقيت، تتكشف اليوم حكمتها على ضوء الواقع الفاجع في حياة البشرية، أشد مما كانت متكشفة في الجاهلية الأولى. ويدرك - من يريد أن يتدبر حكمة الله وعظمة هذا الدين وكمال هذا المنهج ودقة هذا النظام

^{١٧} - [سورة البقرة: ٢٧٥/٢٧٧]

- يدرك اليوم من هذا كله ما لم يكن يدركه الذين واجهوا هذه النصوص أول مرة. وأمامه اليوم من واقع العالم ما يصدق كل كلمة تصديقاً حياً مباشراً واقعاً.

{يمحق الله الربا، ويربي الصدقات، والله لا يحب كل كفار أثيم}..

وصدق وعيد الله ووعدته. فها نحن أولاء نرى أنه ما من مجتمع يتعامل بالربا ثم تبقى فيه بركة أو رخاء أو سعادة أو أمن أو طمأنينة.. إن الله يمحق الربا فلا يفيض على المجتمع الذي يوجد فيه هذا الدنس إلا القحط والشقاء. وقد ترى العين -في ظاهر الأمر- رخاء وإنتاجاً وموارد موفورة، ولكن البركة ليست بضخامة الموارد بقدر ما هي في الاستمتاع الطيب الآمن بهذه الموارد. وقد أشرنا من قبل إلى الشقوة النكدة التي ترين على قلوب الناس في الدول الغنية الغزيرة الموارد؛ وإلى القلق النفسي الذي لا يدفعه الثراء بل يزيده. ومن هذه الدول يفيض القلق والذعر والاضطراب على العالم كله اليوم. حيث تعيش البشرية في تهديد دائم بالحرب المبيدة؛ كما تصحو وتنام في هم الحرب الباردة! وتثقل الحياة على أعصاب الناس يوماً بعد يوم -سواء شعروا بهذا أم لم يشعروا- ولا يبارك لهم في مال ولا في عمر ولا في صحة ولا في طمأنينة بال!

وما من مجتمع قام على التكافل والتعاون -الممثلين في الصدقات المفروض منها والمتروك للتطوع- وسادته روح المودة والحب والرضا والسماحة، والتطلع دائماً إلى فضل الله وثوابه، والاطمئنان دائماً إلى عونه وإخلافه للصدقة بأضعافها.

ما من مجتمع قام على هذا الأساس إلا بارك الله لأهله -أفراداً وجماعات- في ما لهم ورزقهم، وفي صحتهم وقوتهم وفي طمأنينة قلوبهم وراحة بالهم.

والذين لا يرون هذه الحقيقة في واقع البشرية، هم الذين لا يريدون أن يروا، لأن لهم هوى في عدم الرؤية! أو الذين رانت على أعينهم غشاوة الأضاليل المبتوثة عمداً وقصدًا من أصحاب المصلحة في قيام النظام الربوي المقيت؛ فضغطوا عن رؤية الحقيقة! (١٨)

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا" قال: قيل له: الناس كلهم؟ قال: "من لم يأكله منهم ناله من غباره" (١٩)

يقول الطبري - رحمه الله - وهذا نظير الخبر الذي روي عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فإِلَى قُلٍّ". (٢٠)

١٨ - في ظلال القرآن - (ج ١ / ص ٢٩٨ و ٣٠٠)

١٩ - المسند (٤٩٤/٢) وسنن أبي داود برقم (١٣٣١) وسنن النسائي (٢٤٣/٧) وسنن ابن ماجه برقم (٢٢٧٨).

٢٠ أخرجه الحاكم في المستدرک ٢: ٣٧

عن القاسم، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تبارك وتعالى يقبل الصدقة ولا يقبل منها إلا الطيب، ويربّيها لصاحبها كما يربّي أحدكم مئهره أو فصيله، حتى إن اللقمة لتصير مثل أخذ، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: (يحق الله الربا ويُرَبّي الصدقات). (٢١)

الترهيب من الربا

عن أبي هريرة: ((اجتنبوا السبع الموبقات، الشرك بالله السحر وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات)). (٢٢)

الربا سبب للعن والطرء من رحمة الله، يشترك في ذلك كل من له علاقة بالربا شهادة أو كتابة أو أخذ أو إعطاء، وفي الصحيحين عن ابن مسعود: ((لعن رسول الله آكل الربا وموكله)) (٢٣)

. وعن جابر: ((لعن رسول الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء)) (٢٤).

وإذا كان الجزاء من جنس العمل فاسمعوا إلى عقوبة أخروية تبدأ بعد الموت إلى قيام الساعة مع ما ينتظر صاحبها من عقوبة بعد البعث، فقال: ((رأيت الليلة رجلين (أي ملكين)، فأخرجاني إلى أرض مقدسة فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بحجر في فمه، فردّه حيث كان، فقلت: ما هذا الذي رأيت في النهر؟ فقال: آكل الربا)). (٢٥)

وفي الحديث الصحيح كذلك تشنيع لهذه المعاملة وجعلها في مستوى الزنا بل هي أشد من الزنا، فكيف إذا كان الزنا بالأم، فعن النبي قال: ((الربا ثلاث وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه))، وقال: ((الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ثلاثة وثلاثين زنية يزنيها في الإسلام)). (٢٦)

وهو سبب لعذاب الله وسبب للعقوبات العاجلة في الدنيا، ففي الحديث: ((ما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله)) (٢٧)

٢١ - تفسير الطبري - (ج ٦ / ص ١٥)

٢٢ - أخرجه البخاري (١٠١٧/٣، رقم ٢٦١٥)، ومسلم (٩٢/١، رقم ٨٩)

٢٣ - أخرجه مسلم (١٢١٨/٣، رقم ١٥٩٧).

٢٤ - مسند البزار (٨ / ٥)

٢٥ - البخاري في صحيحه ج ٢ / ص ٧٣٤ حديث رقم: ١٩٧٩

٢٦ - أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١١٧/٤) وقال الشيخ الألباني (صحيح لغيره)

٢٧ - قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٧٩ في صحيح الجامع

وفي حديث عمرو بن العاص: ((ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة، وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالربع)).^(٢٨)

ثالثا: عدم الوفاء في الكيل والميزان

ومن أسباب موانع البركة عدم الوفاء في الكيل والميزان فكم نشاد من إنسان يتعاملون بالكيل والميزان ويربحون الأموال الكثيرة ولكنهم يشكون الفقر وقلة البركة لأنهم حجبا أنفسهم عن البركة بالتطيف والله تعالى توعده المطففين بالعذاب في الدنيا والآخرة يقول سبحانه وتعالى { وَيَلِ الْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) الْمُطَفِّفِينَ }^(٢٩)

يقول الطبري - رحمه الله - يقول تعالى ذكره: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يُطَفِّفُونَ، يعني: للذين ينقصون الناس، ويخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف، وهو القليل النزر، والمطفف: المقلل حق صاحب الحق عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن؛ ومنه قيل للقوم الذي يكونون سواء في حصة أو عدد: هم سواء كطف الصاع، يعني بذلك: كقرب الممتلى منه ناقص عن الملء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل^(٣٠).

ويقول الشنقيطي^(٣١) - رحمه الله - فقد ورد في الأنعام والأعراف وهود وبني إسرائيل والرحمن والحديد، أي في ست سور من القرآن الكريم.

أولاً في سورة الأنعام، في سياق ما يعرف بالوصايا العشر، { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً } [الأنعام: ١٥١]. وذكر برّ الوالدين والنهي عن قتل الأولاد والقرب من الفواحش، وقتل النفس التي حرم الله، والنهي عن مال اليتيم.

^{٢٨} - أخرجه أحمد (٢٠٥/٤)، رقم (١٧٨٥٦) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدا.

^{٢٩} - [سورة المطففين ٦/١]

^{٣٠} - تفسير الطبري - (ج ٢٤ / ص ٢٧٧)

^{٣١} - محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا). ولد وتعلم بها. وحج

(١٣٦٧) واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٣٨١) وتوفي بمكة. له كتب، منها (أضواء البيان في

تفسير القرآن - ط) (الأعلام للزركلي ٦/ ٤٥ ومشاهير علماء نجد ٥١٧ - ٥٢٠، ٥٤٠ - ٥٤٣).

ثم قال: { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا } (٣٢)

وتكلم الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه عندها كلاماً موجزاً مفيداً، بأن الأمر هنا بقدر الوسع، ومن أخل من غير قصد التعدي، لا حرج عليه.

وقال: ولم يذكر هنا عقوبة لمن تعمد ذلك، ولكنه توعده بالويل في موضع آخر، وساق أول هذه السورة: { وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ }، كما بين عاقبة الوفاء بالكيل بقوله: { ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } [النساء: ٥٩] أي مآلاً. (٣٣)

و لقد ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن من أسباب محق البركة تطفيف الكيل والميزان عن عبد الله بن عمر قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم) (٣٤)

٣٢ - [الأنعام: ١٥٢].

٣٣ أضواء البيان - (ج ٩ / ص ١٠٠)

٣٤ أخرجه بن ماجه - ٤٠٠٩ والحاكم ح ٨٧٧٢ و قال الألباني: حسن، الصحيحة (١٠٦)

رابعاً: الكذب في البيع والشراء

واعلم رحمني الله وإياك: أن من موانع البركة التي يتساهل فيها كثير من المسلمين الحلف عند البيع والشراء فيجل العبد اليمين وسيلة من وسائل ترويج بضاعته وخداع المسلمين بتلك الأيمان عن أبي هريرة، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَقُولُ: «الْحَلْفُ مُنْقِفَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمَحِّقَةٌ لِلْبَرَكَةِ» (٣٥).

يقول ابن بطلال - رحمه الله - قال المهلب: سئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى: {يُحِقُّ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصدقات} وقيل له: نحن نرى صاحب الربا يربو ماله، وصاحب الصدقة ربما كان مقلًا قال: متى يربى الله الصدقات؟ إن الصدقة يجدها صاحبها مثل أحد يوم القيامة، كذلك صاحب الربا يجد عمله كله محوفاً إن تصدق منه، أو وصل رحمه لم يكتب له بذلك حسنة، وكان عليه إثم الربا بحاله.

وقالت طائفة: إن الربا يحق في الدنيا والآخرة على عموم اللفظ، واحتجوا على ذلك بقوله عليه السلام: «الحلف منقفة للسلعة، محقة للبركة» فلما كان نفاق السلعة بالحلف الكاذبة في الدنيا كان محققاً للبركة فيها في الدنيا فكذلك محق الربا يكون أيضاً في الدنيا وذكر عبد الرزاق عن معمر قال: سمعنا أنه لا يأتي على صاحب الربا أربعون سنة حتى يحق. (٣٦)

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلْفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنْفِقُ ثُمَّ يَمَحُّ (٣٧)

٣٥ - أخرجه الحميدي (١٠٣١) والبخاري (٧٨/٣) ومسلم (٥٦/٥) وأبو داود (٣٣٣٥) والنسائي (٢٤٦/٧)

٣٦ - شرح ابن بطلال - (ج ١١ / ص ٢٢٥)

٣٧ - أخرجه أحمد ح ٢١٥٠٤ مسلم ح ٣٠١٥ والنسائي ح ٤٣٨٤ وابن ماجه ح ٢٢٠٠

الفصل الثالث

الأسباب الجالبة للبركة

أخي المسلم... أختي المسلمة: بعد أن وقفنا على موانع حصول البركة التي هي من أخطر الأسباب التي تؤدي إلى غلاء الأسعار هيا لتتعرف على مفاتيح البركة والأسباب الجالبة لها. اعلم زادك الله علماً: إن للبركة أسباب إذا حققها المسلم فتحت عليه أبواب الخيرات من الأرض والسموات وها هي بين يديك مسفرة تدعو على من يشكو قلة البركة أن يفوز بها

أولا الإيمان بالله وتحقيق التقوى

فمن أعظم الأسباب التي تحقق للعبد البركة في كل شيء إن يحقق المسلم الإيمان بالله تعالى وأن يكون من الذين آمنوا وكانوا يتقون يقول الله-تعالى- { **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** } (٣٨)

يقول القطان رحمه الله -بركات السماء: تشمل الروحية والمادية، وبركات الأرض الخصب، وما فيها من معادن وخيرات.

بعد أن بين الله أخذَه لأهل القرى الذين كذبوا رسلهم-ذكر هنا لأهل مكة ما يكون من إغداق النعم لو آمنوا بالرسول واهتدوا بهدية، واعتبروا بسنة الله في الأمم من قبلهم.

لو أن أهل تلك القرى آمنوا بما جاء به أنبياءهم، وعملوا بوصاياهم، وابتعدوا عما حرمه الله-لفتحنا عليهم أنواعاً من بركات السماء والأرض نِعماً لا تحصى، كالمطر والنبات والثمار والمعادن والأرزاق، والسلامة من الآفات.. لكنهم جحدوا وكذبوا أولئك الرسل، فأنزلنا بهم عقوبتنا، لما كانوا يقتربون من الشرك والمعاصي (٣٩)

ذكر الإمام أحمد في مسنده في ضمن حديث قال وجدت في خزائن بعض بني أمية حنطة الحبة بقدر نواة التمرة وهي في صرة مكتوب عليها كان هذا ينبت في زمن من العدل وكثير من هذه الآفات أحدثها الله سبحانه وتعالى بما أحدث العباد من الذنوب وأخبرني جماعة من شيوخ الصحراء أنهم كانوا يعهدون الثمار أكبر مما هي الآن وكثير من هذه الآفات التي تصيبها لم يكونوا يعرفونها وإنما حدثت من قرب وأما تأثير الذنوب في الصور والخلق فقد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خلق الله آدم على صورته طوله ذراعاً فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحوونك فإنها تحيتك

٣٨ - [الأعراف: ٩٦]

٣٩ - تفسير القطان - (ج ٢ / ص ٦٣)

وتحية ذريتك فذهب فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله " قال: " فزادوه ورحمة الله ". قال: " فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن (٤٠) فإذا أراد الله أن يطهر الأرض من الظلمة والخنوة والفجرة ويخرج عبداً من عباده من أهل بيت نبيه فيملاً الأرض قسطاً كما ملئت جوراً ويقتل المسيح اليهود والنصارى ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله وتخرج الأرض بركاتها وتعود كما كانت حتى أن العصابة من الناس ليأكلون الرمانة ويستظلون بقحفها ويكون العنقود من العنب وقر بعير ولبن اللقحة الواحدة يكفي الفئام من الناس وهذا لأن الأرض لما طهرت من المعاصي ظهرت فيها آثار البركة من الله تعالى التي محقتها الذنوب والكفر (٤١)

ثانياً شكر الله تعالى على النعم

و اعلم بارك الله لك وعليك: أن من مفاتيح البركة والنماء أن يشكر العبد رب الأرض والسماء يقول الله تعالى { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } (٧) { (٤٢) يقول الرازي (٤٣) - رحمه الله - واعلم أن المقصود من الآية بيان أن من اشتغل بشكر نعم الله زاده الله من نعمه، ولا بد ههنا من معرفة حقيقة الشكر ومن البحث عن تلك النعم الزائدة الحاصلة عن الاشتغال بالشكر، أما الشكر فهو عبارة عن الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة، وأما الزيادة في النعم فهي أقسام: منها النعم الروحانية، ومنها النعم الجسمانية، أما النعم الروحانية فهي أن الشاكر يكون أبداً في مطالعة أقسام نعم الله تعالى وأنواع فضله وكرمه، ومن كثر إحسانه إلى الرجل أحبه الرجل لا محالة، فشغل النفس بمطالعة أنواع فضل الله وإحسانه يوجب تأكيد محبة العبد لله تعالى، ومقام المحبة أعلى مقامات الصديقين، ثم قد يترقى العبد من تلك الحالة إلى أن يصير حبه للمنعم شاعراً له عن الالتفات إلى النعمة، ولا شك أن منبع السعادات وعنوان كل الخيرات محبة الله تعالى ومعرفته، فثبت أن الاشتغال بالشكر يوجب مزيد النعم الروحانية، وأما مزيد النعم الجسمانية، فلأن الاستقراء دل على أن من كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر، كان وصول نعم

٤٠ - أخرجه البخاري ح ٣١٤٨ ومسلم ح ٢٨٤١

٤١ - الجواب الكافي [جزء ١ - صفحة ٤٣]

٤٢ - سورة إبراهيم آية ٧

٤٣ - محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر. أوحده زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها.

وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب - ط) (طبقات الأطباء ٢: ٢٣ والوفيات ١: ٤٧٤)

الله إليه أكثر، وبالجملية فالشكر إنما حسن موقعه، لأنه اشتغال بمعرفة المعبود وكل مقام حرك العبد من عالم الغرور إلى عالم القدس، فهو المقام الشريف العالي الذي يوجب السعادة في الدين والدنيا.

وأما قوله: { وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } فالمراد منه الكفران، لا الكفر، لأن الكفر المذكور في مقابلة الشكر ليس إلا الكفران، والسبب فيه أن كفران النعمة لا يحصل إلا عند الجهل بكون تلك النعمة نعمة من الله، والجاهل بها جاهل بالله، والجهل بالله من أعظم أنواع العقاب والعذاب وأيضاً فهنا دقيقة أخرى وهي أن ما سوى الواحد الأحد الحق ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فوجوده إنما يحصل بإيجاد الواجب لذاته، وعدمه إنما يحصل بإعدام الواجب لذاته، وإذا كان كذلك فكل ما سوى الحق فهو منقاد للحق مطواع له، وإذا كانت الممكنات بأسرها منقادة للحق سبحانه فكل قلب حضر فيه نور معرفة الحق وشرف جلاله، انقاد لصاحب ذلك القلب ما سواه، لأن حضور ذلك النور في قلبه يستخدم كل ما سواه بالطبع، وإذا خلا القلب عن ذلك النور ضعف وصار خسيساً فيستخدمه كل ما سواه ويستحقه كل ما يغايره فبهذا الطريق الذوقي يحصل العلم بأن الاشتغال بمعرفة الحق يوجب انفتاح أبواب الخيرات في الدنيا والآخرة، وأما الإعراض عن معرفة الحق بالاشتغال بمجرد الجسمانيات يوجب انفتاح أبواب الآفات والمخافات في الدنيا والآخرة. (٤٤)

عن علي، (٤٥) أنه قال لرجل من همدان: «إن النعمة موصلة بالشكر، والشكر معلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد» (٤٦)

٤٤ - تفسير الرازي - (ج ٩ / ص ٢١٣)

٤٥ - علي بن أبي طالب (٢) بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، ن وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة. ولد بمكة، وربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد. ولما آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه قال له: أنت أخي، وولي الخلافة بعد مقتل عثمان ابن عفان - رضي الله عنه - (الأعلام للزركلي (٤ / ٢٩٥)

٤٦ - الشكر - (ج ١ / ص ١٩)

ثالثا: الاستغفار:

فإن من أسباب البركة أن يكثر المرء من الاستغفار للعزير الغفار فإن ذلك يمنحه من ربه السعة في الرزق والبركة فيه يقول خير الرازيين { **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)** } (٤٧)

يقول ابن عطية (٤٨) - ربه الله - يقتضي أن الاستغفار سبب لنزول المطر في كل أمة.

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه استسقى بالناس فلم يزد على أن استغفر ساعة ثم انصرف فقال له قوم: ما رأيك استسقيت يا أمير المؤمنين، فقال: والله لقد استنزلت المطر بمجادح السماء، ثم قرأ الآية، وسقى - رضي الله عنه - (٤٩)،

وشكى رجل إلى الحسن الجرب فقال له: استغفر الله، وشكى إليه آخر الفقر، فقال: استغفر إليه، وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولداً، فقال له استغفر الله، ف قيل له في ذلك، فنزع بهذه الآية.

عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب. (٥٠)

رابعا: التوكل على الله تعالى

ومن أسباب السعة في الرزق والبركة فيه أن يتوكل العبد على ربه ثم يأخذ بالأسباب فإن الله تعالى أمرنا بالتوكل عليه فقال { **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)** } (٥١)

و النبي - صلى الله عليه وسلم أرشدنا إلى كل خير وحذرنا من كل شر ومن الخير الذي دلنا عليه التوكل على الله تعالى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { **لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بَطَانًا** } (٥٢).

٤٧ - سورة نوح ١٠/١٢

٤٨ - عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش المثلثين. وتوفي بلورقة (الأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٢)

نفح الطيب ١: ٥٩٣ وقضاء الأندلس ١٠٩)

٤٩ - مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٧ / ص ٧٦)

٥٠ - قال الألباني: ضعيف، الضعيفة (٧٠٦)، ضعيف أبي داود (٢٦٨)، التعليق الرغيب (٢ / ٢٦٨) // ضعيف الجامع (٥٨٢٩) /

٥١ - سورة إبراهيم آية ١١

(لو أنكم توكلون على الله حق توكله) بأن تعلموا يقينا أن لا فاعل إلا الله وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع من الله تعالى ثم تسعون في الطلب على الوجه الجميل والتوكل إظهار العجز والاعتماد على المتوكل عليه (لرزقكم كما ترزق) بمثناة فوقية مضمومة أوله بضبط المصنف (الطير) زاد في رواية في جو السماء (تغدو خماسا) أي ضامرة البطون من الجوع جمع خميص أي جائع (وتروح) أي ترجع آخر النهار (بطانا) أي ممتلئة البطون جمع بطين أي شعبان أي تغدو بكرة وهي جياح وتروح عشاء وهي ممتلئة الأجواف أرشد بها إلى ترك الأسباب الدنيوية والاشتغال بالأعمال الأخروية ثقة بالله وبكفائته فإن احتج من غلب عليه الشغف بالأسباب بأن طيران الطائر سبب في رزقه فجوابه أن الهواء لا حب فيه يلقط ولا جهة تقصد ألا ترى أنه ينزل في مواضع شتى لا شيء فيها فلا عقل له يدرك به فدل على أن طيرانه في الهواء ليس من باب طلب الرزق بل هو من باب حركة يد المرتعش لا حكم لها فيتزدد في الهواء حتى يؤتى برزقه أو يؤتى به إلى رزقه هذا الذي يتعين حمل طيران الطائر عليه أعني أنه لا حكم له في الرزق ولا ينسب إليه لأن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم سماه متوكلا مع طيرانه ولذلك مثل به والمكلف العاقل أولى بالتوكل منه سيما من دخل إلى باب الاشتغال بأفضل الأعمال بعد الإيمان وهو طلب العلم كذا قرره ابن الحاج وهو أوجه من قول البعض الحديث مسوق للتنبيه على أن الكسب ليس برازق بل الرازق هو الله تعالى لا للمنع عن الكسب* (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)*
فينبغي للباحث عن البركة أن يتوكل على الله سبحانه وتعالى ثم يتبعه الحركة والسعي من أجل طلب الحلال فان الله تعالى أمر سيدة البتول أن تهمز جذع النخل حتى يتساقط عليها الرطب ولم يأمرها بالتوكل فقط بل لابد من الأخذ بالأسباب فالأخذ بالأسباب أمر واجب وقد أخذ بعض العلماء من قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: { وهزى إِيْلِكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ } (٥٣)
الآية - أن السعي والتسبب في تحصيل الرزق أمر مأمور به شرعاً وأنه لا ينافي التوكل على الله جل وعلا. وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.

٥٢ - قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٥٥٧: أخرجه أحمد (١ / ٣٠) والترمذي (٢ / ٥٥ -) والحاكم (٤ / ٣١٨) وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح". وقال الحاكم: "صحيح الإسناد، وأقره الذهبي. وأقول: بل هو صحيح على شرط مسلم، فإن رجاله رجال الشيخين غير ابن هبيرة أبي تميم فمن رجال مسلم وحده. وابن ماجه (٤١٦٤).

٥٣ - [مريم: ٢٥]

خامسا: الصدق في البيع والشراء

واعلموا رحمكم الله - أن من أسباب حصول البركة الصدق في البيع والشراء فان ذلك من أبواب البركة التي غفل عنها كثير من التجار فهم يربحون ولكن لا يجدون لربحهم بركة بل هم في هم وغم وفقير رغم كثرة الأرباح بسبب الكذب في بيعهم وشرائهم، ولقد أوضح النبي الحبيب - صلى الله عليه وسلم - حزام، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « البيعان بالخيار، ما لم يتفرقا، أو قال حتى يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما ».(٥٤)

عليه وسلم - لنا أن من الأسباب الجالبة للبركة الصدق يقول ابن حجر - رحمه الله - قوله: (محقت بركة بيعهما)

يحتمل أن يكون على ظاهره وأن شؤم التدليس والكذب وقع في ذلك العقد فمحق بركته، وإن كان الصادق مأجورا والكاذب مأزورا. ويحتمل أن يكون ذلك مختصا بمن وقع منه التدليس، والعيب دون الآخر، ورجحه ابن أبي جمرة. وفي الحديث فضل الصدق والحث عليه وذر الكذب والحث على منعه، وأنه سبب لذهاب البركة، وأن عمل الآخرة يحصل خيري الدنيا والآخرة. (٥٥)

سادسا: البكور في طلب الرزق:

ومن بواعث حصول البركة البكور في طلب الرزق ولقد دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم لأهل البكور بالبركة ودعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - مستجابة عند الله تعالى عن صخر بن وداعة الغامدي الصحابي (٥٦) رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لأمتي في بكورها وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار وكان صخر تاجرا فكان يبعث تجارته من أول النهار فأثرى وكثر ماله (٥٧)

٥٤ - أخرجه أحمد (٤٠٢/٣، ٤٣٤) والدارمي (٢٥٥٠) والبخاري (٨٣/٣). ومسلم (١٠/٥)، وأبو داود (٣٤٥٩) والترمذي (١٢٤٦) والنسائي (٢٤٧/٧)

٥٥ - فتح الباري لابن حجر - (ج ٦ / ص ٤٣١)

٥٦ - صخر بن وداعة الغامدي الأسدي، حجازي، سكن الطائف، له صحبة.

٥٧ - واه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسنة الألباني في صحيح الترغيب ح ١٦٩٣ و انظر حديث رقم: ١٣٠٠ في صحيح الجامع.

يقول ابن بطلال - رحمه الله - وإنما خص - صلى الله عليه وسلم - - البكور بالدعاء بالبركة فيه من بين سائر الأوقات - والله أعلم - لأنه وقت يقصده الناس بابتداء أعمالهم وهو وقت نشاط وقيام من دعة، فخصه بالدعاء؛ لينال بركة دعوته جميع أمته. (٥٨)

عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بورك لأمتي في بكورها (٥٩)
يقول ابن القيم (٦٠) - رحمه الله - ومن المكروه عندهم: النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس فإنه وقت غنيمة وللسير ذلك الوقت عند السالكين مزية عظيمة حتى لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالقعود عن السير ذلك الوقت حتى تطلع الشمس فإنه أول النهار ومفتاحه ووقت نزول الأرزاق وحصول القسم وحلول البركة ومنه ينشأ النهار وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة فينبغي أن يكون نومها كنوم المضطر (٦١)

٥٨ - شرح ابن بطلال - (ج ٩ / ص ١٦٣)

٥٩ - أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط ح ٧٦٥ وأبو يعلى ح ٥٢٨١ وقال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٨٤١ في صحيح الجامع.

٦٠ - محمد بن أبي بكر بن أيوب، الدرعي، الدمشقي، شمس الدين، ابن القيم. قال ابن رجب: الفقيه الأصولي النحوي المفسر العارف، شمس الدين، أبو عبد الله، شيخنا، سمع من الشهاب النابلسي، وفاطمة بنت جوهر، وأبي بكر بن عبد الدائم، وجماعة، وتفقه في المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين بن تيمية، وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيها المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعبادة، وله فيها اليد الطولى، ويعلم الكلام، وغير ذلك، وكان عالماً بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى. (التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص: ٤٠٩)

٦١ - مدارج السالكين [جزء ١ - صفحة ٤٥٩]

سابعاً: الوفاء بالكيل والميزان

ومن الأسباب الجالبة للبركة الوفاء بالكيل والميزان كما اخبرنا سيد ولد عدنان - صلى الله عليه وسلم - إن من بركة الطعام كيله عَنْ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كِيلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكُ لَكُمْ (٦٢)

يقول ابن بطل - رحمه الله - الكيل مندوب إليه فيما ينفقه المرء على عياله وَنَدَبُ النَّبِيِّ أُمَّتُهُ إِلَيْهِ يَدُلُّ عَلَى الْبَرَكَةِ فِيهِ.

قال المهلب: ويحتمل المعنى -والله أعلم- أنهم كانوا يأكلون بلا كيل، فيزيدون في الأكل فلا يبلغ لهم الطعام إلى المدة التي كانوا يقدرونها، فقال لهم عليه السلام: «كيلوا» أي: أخرجوا بكيل معلوم يبلغكم إلى المدة التي قدرتم مع ما وضع الله من البركة في مد أهل المدينة بدعوته عليه السلام.

فإن قيل: فما معنى قول عائشة: «كان عندي شطر شعير، نأكل منه حتى طال على فكلته ففنى»، وهذا معارض لحديث المقدام. قال المهلب: ليس بينهما تعارض بحمد الله، ومعناه: أنها كانت تخرج قوتها بغير كيل، وهى متقوتة باليسير، فبورك لها فيه مع بركة النبي الباقية عليها وفى بيتها فلما كالت علمت المدة التي يبلغ إليها، ففنى عند انقضائها، لا أن الكيل وكده فيه أن يفنى. (٦٣)

وقول المناوي (٦٤) - رحمه الله - عند البيع وخروجه من مخزنه (يبارك لكم فيه) أي يحصل فيه الخير والبركة والنمو بنفي الجهالة عنه أما في البيع والشراء فظاهر وأما كيل ما يخرج لعياله فلائنه إذا أخرجه جزافاً قد ينقص عن كفايتهم فيتضررون أو يزيد فلا يعرف ما يدخر لتمام السنة فأمر بالكيل ليلغهم المدة التي ادخر لها.

قال ابن الجوزي (٦٥) وغيره: وهذه البركة يحتمل كونها للتسمية عليه وكونها لما بورك في مد أهل المدينة بدعوته ولا ينافيه خبر عائشة أنها كانت تخرج قوتها بغير كيل فبورك لها فيه حتى علمت المدة التي تبلغ إليها عند انقضائها

٦٢ - أخرجه أحمد (١٣١/٤) والبخاري (٨٨/٣) ح ١٩٨٤

٦٣ - شرح ابن بطل - (ج ١١ / ص ٢٦٢)

٦٤ - محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستلم منه تأليفه. له نحو ثمانين مصنفاً، منها الكبير والصغير والتام والناقص. عاش في القاهرة، وتوفي بها. (الأعلام للزركلي (٦/ ٢٠٤) خلاصة الأثر ٢: ٤١٢ - ٤١٦ وفهرس الفهارس ٢: ٢)

٦٥ - عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشرة الجوز) من محالها. له نحو ثلاث مئة مصنف (وفيات الأعيان ١: ٢٧٩ والبداية والنهاية ١٣: ٢٨)

لأن ما هنا في طعام يشتري أو يخرج من مخزنه فبركته بكياله لإقامة القسط والعدل وعائشة كالتة اختبارا فدخله النقص وقوله يبارك بالجزم جوابا للأمر.

وقال في موضع آخر (كيلوا طعامكم فإن البركة في الطعام المكيل) قال البعض: كأنه يشير إلى أنه إذا علم كيله ووزنه حلت البركة بنفي الجهالة ونفي التهمة عن الطعام بيده وكان بعضهم إذا أنفذ حاجة مع غلمانة ختمها ويقول فيه فائدتان سلامة سرى من سوء الظن بالغلام ويمنعه من الخيانة ويعوده الأمانة

لكن مجرد الكيل لا يحصل البركة ما لم ينضم له قصد الامتثال فيما يشرع كيله ومجرد عدم الكيل لا ينزعها ما لم ينضم له قصد الاختبار والمعارضة (٦٦)

ولقد أمرنا الرسول الكريم بالكيل حتى تحل البركة عن علي - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كيلوا طعامكم فإن البركة في الطعام المكيل (٦٧).

ثامنا: الزكاة والصدقة

ومن أسباب البركة والنماء الذي دل عليها رب الأرض والسماء وسيد الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - يقول الله تعالى { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (١٠٣) { (٦٨)

يقول السعدي-رحمه الله - { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً } وهي الزكاة المفروضة، { تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة.

{ وَتُزَكِّيهِمْ } أي: تنميتهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الديني والأخروي، وتنمي أموالهم.

{ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ } أي: ادع لهم، أي: للمؤمنين عموما وخصوصا عندما يدفعون إليك زكاة أموالهم. { إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ } أي: طمأنينة لقلوبهم، واستبشار لهم، { وَاللَّهُ سَمِيعٌ } لدعائك، سمع إجابة وقبول. { عَلِيمٌ } بأحوال العباد ونياتهم، فيجازي كل عامل بعمله، وعلى قدر نيته، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمثل لأمر الله، ويأمرهم بالصدقة، ويبعث عماله لجبايتها، فإذا أتاه أحد بصدقته دعا له وبرك.

٦٦ - فيض القدير - (ج ٥ / ص ٧٦)

٦٧ أخرجه ابن النجار وقال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٤٥٩٩ في صحيح الجامع.

٦٨ - [سورة التوبة: ١٠٣]

ففي هذه الآية، دلالة على وجوب الزكاة، في جميع الأموال، وهذا إذا كانت للتجارة ظاهرة، فإنها أموال تنمي ويكتسب بها، فمن العدل أن يواسى منها الفقراء، بأداء ما أوجب الله فيها من الزكاة.

وما عدا أموال التجارة، فإن كان المال ينمي، كالحبوب، والثمار، والماشية المتخذة للنماء والدر والنسل، فإنها تجب فيها الزكاة، وإلا لم تجب فيها، لأنها إذا كانت للقنية، لم تكن بمنزلة الأموال التي يتخذها الإنسان في العادة، مالا يتمول، ويطلب منه المقاصد المالية، وإنما صرف عن المالية بالقنية ونحوها.

وفيها: أن العبد لا يمكنه أن يتطهر ويتزكى حتى يخرج زكاة ماله، وأنه لا يكفرها شيء سوى أدائها، لأن لإكاته والتطهير متوقف على إخراجها.

وفيها: استحباب الدعاء من الإمام أو نائبه لمن أدى زكاته بالبركة، وأن ذلك ينبغي، أن يكون جهرا، بحيث يسمعه المتصدق فيسكن إليه.

ويؤخذ من المعنى، أنه ينبغي إدخال السرور على المؤمن بالكلام اللين، والدعاء له، ونحو ذلك مما يكون فيه طمأنينة، وسكون لقلبه. وأنه ينبغي تنشيط من أنفق نفقة وعمل عملا صالحا بالدعاء له والثناء، ونحو ذلك.^(٦٩)

ومن ذلك قوله - سبحانه وتعالى - { وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَّيْرُبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ } (٣٩) الروم {٧٠}

يقول الماوردي-(٧١) رحمه الله - { وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ } أي ثواب الله، وفيها قولان: أحدهما: أنها الزكاة المفروضة وهو الظاهر.

الثاني: أنها الصدقة، قاله ابن عباس والسدي.

{ فَأُولَئِكَ الْمُضْعِفُونَ } فيه وجهان: أحدهما: تضاعف لهم الحسنات لأن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، قاله السدي.

الثاني: تضاعف أموالهم في الدنيا بالزيادة فيها، (٧٢)

^{٦٩} - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٣٥٠)

^{٧٠} - [سورة الروم آية ٣٩]

^{٧١} - علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي: أفضى قضاء عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة،

وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، (الأعلام للزركلي (٤ / ٣٢٧)

^{٧٢} - النكت والعيون - (ج ٣ / ص ٣٢٢)

و المشاهد المحسوس والواقع الملموس أن الله تعالى يبارك في الأموال التي يخرج أصحابها الزكاة وهي في نماء ما اخرجوا زكاة أموالهم ولم لا والنبي - صلى الله عليه وسلم - أقسم قسما حقا أن المال لا ينقص بالصدقة عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ثلاث والذي نفسي بيده إن كنت لحالفا عليهن لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا ولا يعفو عبد عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر)(٧٣)

عن أبي كبشة الأنماري(٧٤) أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها (٧٥)

٧٣ - أخرجه أحمد ح ١٥٨٤ والطبراني في الصغير ح ٢٣٦١ وعبد ابن حميد ح ١٦١ والشهاب القضاعي

ح ٧٦٣ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ح ٨١٤

٧٤ - أبو كبشة الأنماري المذحجي، اسمه عمر، وقيل: عمرو بن سعد. [الوفاة: ٦١ - ٧٠ هـ] تاريخ الإسلام ت بشار (٧٤٤ / ٢)

٧٥ - أخرجه الترمذي ح ٢٢٤٧ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح ابن ماجه (٤٢٢٨)

تاسعا: سخاوة النفس وعدم الجشع والطمع

وهو أن يطلب المال بسخاوة نفس دون إشراف ولا إلحاح فإن الله تعالى يبارك له في ذلك المال عن حكيم بن حزام ^(٧٦) رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطيني ثم سألته فأعطيني ثم سألته فأعطيني ثم قال يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه كالذي يأكل ولا يشبع اليد العليا خير من اليد السفلى قال حكيم فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئا فقال عمر إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي ^(٧٧)

وقوله: «فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه» يدل أن القناعة وطلب الكفاية والإجمال في الطلب مقرون بالبركة، وأن من طلب المال بالشره والحرص، فلم يأخذه من حقه لم يبارك له فيه، وعوقب بأن حرم بركة ما جمع. ^(٧٨)

^{٧٦} - حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أبو خالد، صحابي، قرشي. وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين مولده بمكة (في الكعبة) شهد حرب الفجار، وكان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها. وعمر طويلا، قيل ١٢٠ سنة. وكان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام، عالما بالنسب. أسلم يوم الفتح، وفيه الحديث يومئذ: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن) له في كتب الحديث ٤٠ حديثا. توفي بالمدينة (تهذيب التهذيب ٢: ٤٤٧ والإصابة ٢: ٣٤٩)

^{٧٧} - أخرجه الحميدي (٥٥٣) وأحمد (٤٣٤/٣) والبخاري (١١٦/٨) قال:، ومسلم (٩٤/٣) والنسائي (٦٠/٥) والترمذي (٢٤٦٣)

^{٧٨} - شرح ابن بطلال - (ج ٦ / ص ٤٨)

عاشرا: الزواج وعدم المغالاة في المهر

ومن مظاهر البركة اليسر والسماحة في الزواج لا التعتن والعناد الذين شاهده في عصرنا والإسلام الحنيف اعتبر أن المرأة كلما كان مهرها قليلاً كان خيرها كثيراً، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة))^(٧٩)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها))^(٨٠). ولم لا والله تعالى قد ضمن له العون على زواجه وجعل ذلك حقا للمتزوج عليه - وهذا تفضل من الله لأنه لا يجب عليه شيء - عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثة حق على الله عونهم: المكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله "^(٨١)

(والناكح الذي يريد العفاف) أي المتزوج بقصد عفة فرجه عن الزنا واللواط أو نحوهما وإنما أثر هذه الصيغة إيداناً بأن هذه الثلاثة من الأمور الشاقة التي تكدر الإنسان وتقسم ظهره لولا أنه يعان عليها لما قام بها قال الطيبي^(٨٢): وأصعبها العفاف لأنه قمع الشهوة الجبلية المذكورة في النفس وهي مقتضى البهيمية النازلة في أسفل سافلين فإذا استعف وتداركه عون إلهي ترقى إلى منزلة الملائكة في أعلى عليين.

إذا رأيت واحداً من هؤلاء فأعنه بطائفة من مال أو قال أحوال فإنك إذا أعنتهم فأنت نائب الحق في عونهم فإنه إذا كان عون هؤلاء حقاً على الله فمن أعانهم فقد أدى عن الله ما أوجبه على نفسه فيتولى الله كرامته بنفسه فما دام المجاهد مجاهداً بما أعنته عليه فأنت شريكه في الأجر ولا ينقصه شيء وإذا ولد للناكح ولد صالح كان لك في ولده وعقبه أجر وأقر به عين محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وهو أعظم من عون المكاتب والمجاهد لما أن النكاح أفضل النوافل وأقربه نسبة للفضل الإلهي في إيجاده العالم وبِعَظَم الأجر يعظم النسب إلى هنا كلامه^(٨٣)

^{٧٩} - أخرجه أحمد ح ٢٣٣٨٨ والبيهقي في الشعب ح ٦٢٩٥ والطيالسي ح ١٥١٨ أو قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف ابن الطفيل بن سخرة اختلف على حماد بن سلمة في اسمه

^{٨٠} - وأخرجه أحمد: (٩١/٦) وحسنه الألباني انظر حديث رقم: ٢٢٣٥ في صحيح الجامع.

^{٨١} قال أخرجه الترمذي ح ١٥٧٩ والنسائي ٣١٦٦ والحاكم ح ٢٦٢٩ الألباني (حسن) انظر حديث رقم: ٣٠٥٠ في صحيح الجامع.

^{٨٢} - الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان.

من أهل توريث، من عراق العجم. كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره. وكان شديد الرد على المبتدعة، ملازماً لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعاً، ضعيف البصر

(الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٦) الدرر الكامنة ٢: ٦٨ والبدر الطالع ١: ٢٢٩)

^{٨٣} - فيض القدير - (ج ٣ / ص ٤١٨)

وعن عمر رضي الله عنه: عجبت لمن لا يطلب الغنى بالباءة. ولقد كان عندنا رجل رازح الحال، ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت، فسألته؟ فقال: كنت في أول أمري على ما علمت، وذلك قبل أن أرزق ولداً، فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر، فلما ولد لي الثاني زدت خيراً، فلما تتاموا ثلاثة صبّ الله عليّ الخير صباً، فأصبحت إلى ما ترى { والله واسع } أي غنيّ ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق، ولكنه { عَلِيمٌ } يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر (٨٤).

الحادي عشر: الاجتماع على الطعام

ومن أسباب حدوث وحلول البركة في الطعام الاجتماع عليه فعن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال فلعلكم تفترون قالوا نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه (٨٥)
عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « طَعَامُ الْاِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ » (٨٦)

يقول ابن بطال -رحمه الله- يريد أنه ما شبع اثنان يكفي ثلاثة رجال وما يشبع منه ثلاثة يكفي أربعة والكفاية ليست بالشبع والاستنباط كما أنها ليست بالغنى والإكثار، ألا ترى قول أبي حازم: ابن آدم إذا كان ما يكفيك لا يغنيك فليس شيء يغنيك.

وقد روى لفظ الترجمة عن النبي عليه السلام من حديث ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي الزبير، عن جابر قال: سمعت النبي عليه السلام يقول: « طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية ».

قال المهلب: والمراد بهذه الأحاديث الحض على المكارمة في الأكل والمواساة والإيثار على النفس الذي مدح الله به أصحاب نبيه، فقال: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة} ولا يراد بها معنى التساوي في الأكل

٨٤ - الكشف - (ج ٤ / ص ٤٠٣)

٨٥ - قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٢ / ٢٧٢: أخرجه أبو داود (٢ / ١٣٩) وابن ماجه (٢ / ٣٠٧) وابن حبان (١٣٤٥)

والحاكم (٢ / ١٠٣) وأحمد (٣ / ٥٠١)

٨٦ - أخرجه مالك «الموطأ» صفحة (٥٧٨). والحميدي (١٠٦٨) وأحمد (٢٤٤/٢) والبخاري (٩٢/٧) ومسلم (١٣٢/٦). والترمذي

(١٨٢٠) تحفة الأشراف « (١٠/١٣٨٠٤)

والتشاح؛ لأن قوله عليه السلام: «كافي الثلاثة» دليل على الأثرة التي كانوا يمتدحون بها والتقنع بالكفاية، وقد هم عمر بن الخطاب في سنة مجاعة أن يجعل مع كل أهل بيت مثلهم وقال: لن يهلك أحد عن نصف قوته. قال ابن المنذر^(٨٧): وحديث أبي هريرة يدل على أنه يستحب الاجتماع على الطعام وألا يأكل المرء وحده؛ فإن البركة في ذلك على ما جاء في حديث وحشي عن النبي^(٨٨).*

الثاني عشر: التسمية عند الأكل

فان من الآداب التي أرشدنا إليها النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يسمي العبد عن الطعام فان البركة تحل فيه عن زيد بن أسلم^(٨٩) أن رسول الله عليه السلام قال: «إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها واذكروا اسم الله، فأن أحدكم إذا سلم حين يدخل بيته وذكر اسم الله على طعامه، يقول الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم هاهنا ولا عشاء وإذا لم يسلم إذا دخل ولم يذكر اسم الله على طعامه، قال الشيطان لأصحابه: أدركتم المبيت والعشاء»^(٩٠)

^{٨٧} - محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، أبو بكر: فقيه مجتهد، من الحفاظ. كان شيخ الحرم بمكة.

قال الذهبي: ابن المنذر صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها. منها "المبسوط" في الفقه، و"الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف..)(
الأعلام للزركلي (٢٩٥ / ٥) وتذكرة الحفاظ ٣: ٤ والوفيات ١: ٤٦١)

^{٨٨} - شرح ابن بطلال - (ج ١٨ / ص ٨٤)

^{٨٩} زيد بن أسلم العدوي العمري، مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبد الله: فقيه مفسر، من أهل المدينة. كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته.
واستقدمه الوليد ابن يزيد، في جماعة من فقهاء المدينة، إلى دمشق، مستفتيا في أمر. (الأعلام للزركلي (٥٧ / ٣) وتذكرة الحفاظ ١: ١٢٤
وتهذيب التهذيب ٣: ٣٩٥.

^{٩٠} - أخرجه أحمد ح ١٤٢٠٢ مسلم ح ٣٧٦٢ وأبو داود ح ٣٢٧٣ وابن ماجه ح ٣٨٧٧

الثالث عشر: الأكل من جوانب الطعام

عن واثلة بن الأسقع الليثي^(٩١) قال: "أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأس الثريد، فقال: "كلوا بسم الله من حواليلها واعفوا رأسها، فإن البركة تأتيها من فوقها" (٩٢)

عن ابن عباس مرفوعا: (إذا أكل أحدكم طعاما فلا يأكل من أعلى الصحيفة ولكن ليأكل من أسفلها فإن البركة تنزل من أعلاها) (٩٣)

وفي رواية الترمذي^(٩٤) عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه (٩٥)

وفي الحديث مشروعية الأكل من جوانب الطعام قبل وسطه. قال الرافعي وغيره: يكره أن يأكل من أعلى الثريد ووسط القصعة، وأن يأكل مما يلي أكيله، ولا بأس بذلك في الفواكه، وتعقبه الإسنوي بأن الشافعي نص على التحريم. قال الغزالي: وكذا لا يأكل من وسط الرغيف بل من استدارته إلا إذا قل الخبز فليكسر الخبز. والعلة في ذلك ما في الحديث من كون البركة تنزل في وسط الطعام.

وقال الخطابي^(٩٦): وفيه وجه آخر وهو أن يكون النهي إنما وقع عنه إذا أكل مع غيره، وذلك أن وجه الطعام هو أفضله وأطيبه، فإذا كان قصده بالأكل كان مستأثرا به على أصحابه. وفيه من ترك الأدب وسوء العشرة ما لا خفاء به، فأما إذا أكل وحده فلا بأس به انتهى.

قلت: هذا وجه ضعيف لا يقبل والله أعلم (٩٧)

٩١ - واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل، الليثي الكنايني: صحابي، من أهل الصفة. الأعلام للزركلي (٨ / ١٠٧)

٩٢ - قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٥ / ٤٨: أخرجه ابن ماجه (٢ / ٣٠٥) أخرجه أحمد (٣ / ٤٩٠). قلت: وإسناده جيد، رجاله كلهم ثقات،

٩٣ - أخرجه أبو داود (٣٧٧٢) واللفظ له والترمذي (١ / ٣٣٣) وابن ماجه (٣٢٧٧) وابن حبان (٣٤٦١) والحاكم (٤ / ٦١١) والبيهقي (٧ / ٢٧٨) وأحمد (١ / ٢٧٠ و ٣٠٠ و ٣٤٣ و ٣٤٥ و ٣٦٤)

٩٤ - محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي، أبو عيسى: من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه. وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره. وكان يضرب به المثل في الحفظ.

مات بترمذ. من تصانيفه (الجامع الكبير - ط) باسم (صحيح الترمذي) في الحديث، مجلدان، و(الشمائل النبوية - ط) و(التاريخ) (الأعلام للزركلي (٦ / ٣٢٢) أنساب السمعاني ٩٥ وتحذيب ٩: ٣٨٧)

٩٥ - وأخرجه الطحاوي في "مشكل الآثار" (١ / ٥٥) وغيره بسند صحيح وهو مخرج في "المشكاة" (٤٢١١)

٩٦ - حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان: فقيه محدث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (تحفة ذوي الأرب ١٥٤ والوفيات ١: ١٦٦)

الرابع عشر: لعق الأصابع بعد الأكل

ومن الهدي النبوي الشريف انه حثنا على لعق الأصابع بعد الأكل وأخبرنا أن العبد لا يدري أين البركة فلعلها فيما علق بالأصابع من طعام

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل طعاما لعق أصابعه الثلاث قال وقال إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان وأمرنا أن نسلت القصعة قال فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة (٩٨)

يقول ابن عثيمين - رحمه الله - من آداب الأكل، منها: أن الإنسان إذا فرغ من أكله فإنه يلحق الصفحة ويلحق أصابعه، يعني يلحسها حتى لا يبقى فيها أثر طعام، فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة فهذان أدبان: الأول: لعق الصفحة، والثاني: لعق الأصابع، والنبي عليه الصلاة والسلام لا يأمر أمته بشيء إلا فيه الخير والبركة. ولهذا قال الأطباء: إن في لعق الأصابع من بعد الطعام فائدة وهو تيسير الهضم، لأن هذه الأنامل فيها مادة تفرزها عند اللعق بعد الطعام تيسر الهضم، ونحن نقول: هذا من باب معرفة حكمة الشرع فيما يأمر به، وإلا فالأصل أننا نلحقها امتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وكثير من الناس لا يفهمون هذه السنة تجده ينتهي من الطعام، وحافته التي حوله كلها طعام، تجده أيضاً يذهب ويغسل دون أن يلحق أصابعه، والنبي صلى الله عليه وسلم نهى أو يمسح الإنسان يديه بالمنديل حتى يلحق وينظفها من الطعام، ثم بعد ذلك يمسح بالمنديل، ثم بعد ذلك يغسلها إذا شاء.

كذلك أيضاً من آداب الأكل: أن الإنسان إذا سقطت لقمة على الأرض فإنه لا يدعها؛ لأن الشيطان يحضر للإنسان في جميع شئونه، كل شئونك من الأكل، والشراب، وجماع، أي شيء يحضر الشيطان، فإذا لم تسم الله عند الأكل شاركك في الأكل، وصار يأكل معك، ولهذا تنزع البركة من الطعام إذا لم يسم الله، وإذا سميت الله على الطعام، ثم سقطت لقمة يعني طاحت من يدك فإن الشيطان يأخذها، ولكن لا يأخذها ونحن ننظر؛ لأن هذا شيء غيبي لا نشاهده، ولكننا علمناه بخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام يأخذها الشيطان فيأكلها، وإن بقيت أماناً حسناً، لكنه يأكلها غيباً، هذه من الأمور الغيبية التي يجب أن نصدق بها. ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم دلنا على خير فقال: "فليأخذها وليمط ما بها من أذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان" خذها وأمط ما بها من أذى من تراب أو عيدان أو غير ذلك ثم كلها ولا تدعها للشيطان، والإنسان إذا فعل هذا امتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتواضعاً لله عز وجل وحرماناً للشيطان من أكلها،

٩٧ - عون المعبود - (ج ٨ / ص ٢٨٢)

٩٨ - أخرجه مسلم ح ٣٧٩٥ والترمذي ح ١٧٢٥

حصل على هذه الفوائد الثلاثة الامتثال لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، والتواضع، وحرمان الشيطان من أكلها. هذه فوائد ثلاث ومع ذلك فإن أكثر الناس إذا سقطت اللقمة على السفرة أو على سمط نظيف تركها وهذا خلاف للسنة.

وفي الحديث من الفوائد :

*أنه لا ينبغي للإنسان أن يأكل طعاماً فيه أذى، لأن نفسك عندك أمانة، لا تأكل شيئاً فيه أذى، من عيدان أو شوك أو ما أشبه ذلك، وعليه فإننا نذكر الذين يأكلون السمك أن يحتاطوا لأنفسهم، لأن السمك لها عظام دقيقة مثل الإبر، إذا لم يحترز الإنسان منها، ربما تدخل إلى بطنه وتخرج معدته أو أمعائه وهو لا يشعر^(٩٩).

الخامس عشر صلة الرحم

ومن أسباب البركة والماء وكثرة الخير والعطاء صلة الأرحام والإحسان إلى ذوي الرحم المسلم فان الله تعالى وعد من يصل رحمه بالصلة في الدنيا والآخرة عن أنس، قال عليه السلام: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » (١٠٠)

يقول بدر الدين العيني (١٠١) - رحمه الله - فإن قلت الآجال مقدرة وكذا الأرزاق لا تزيد ولا تنقص فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قلت أجيب عن هذا بوجهين (أحدهما) أن هذه الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وصيانتها عن الضياع وحاصله أنها بحسب الكيف لا الكم (والثاني) أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر وإلى ما يظهر له في اللوح المحفوظ بالحو والإثبات فيه يمحو الله ما يشاء ويثبت كما أن عمر فلان ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإنه يزداد عليه عشرة وهو سبعون وقد علم الله عز وجل بما سيقع له من ذلك فبالنسبة إلى الله تعالى لا زيادة ولا نقصان

^{٩٩} - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين

^{١٠٠} - أخرجه أحمد (٣٧٤/٢) أخرجه البخاري (٦/٨) ومسلم (٨/٨) وفي الأدب المفرد (٥٧). والترمذي (١٩٧٩)

^{١٠١} - محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عنتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرّب من الملك المؤيد حتى عدّ من أخصائه. ولما ولي الأشرف سامره ولزمه، وكان يكرمه ويقدمه. ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة. من كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري - (الأعلام للزركلي (١٦٣/٧) التبر المسبوك ٣٧٥ والضوء اللامع ١٠ : ١٣١ - (١٣٥)

ويقال له القضاء المبرم وإنما يتصور الزيادة بالنسبة إليهم ويسمى مثله بالقضاء المعلق ويقال المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت وهو إما بالعلم الذي ينتفع به أو الصدقة الجارية أو الخلف الصالح (١٠٢)

الفهرس

٤	مقدمة:
٥	الفصل السابع الأسباب الجالبة للبركة
٦	الفصل الأول مفهوم البركة في القرآن والسنة
٦	الفصل الثاني: أسباب غلاء الأسعار
٧	أولاً: الكفر بنعم الله تعالى
١٠	ثانياً الذنوب والمعاصي
١٢	الربا ماحق للبركة
١٥	ثالثاً: عدم الوفاء في الكيل والميزان
١٧	رابعاً: الكذب في البيع والشراء
١٨	الفصل الثالث
١٨	الأسباب الجالبة للبركة
١٨	أولاً الإيمان بالله وتحقيق التقوى
١٩	ثانياً شكر الله تعالى على النعم
٢١	ثالثاً: الاستغفار:
٢١	رابعاً: التوكل على الله تعالى
٢٣	خامساً: الصدق في البيع والشراء
٢٣	سادساً: البكور في طلب الرزق:
٢٥	سابعاً: الوفاء بالكيل والميزان
٢٦	ثامناً: الزكاة والصدقة
٢٩	تاسعاً: سخاوة النفس وعدم الجشع والطمع
٣٠	عاشراً: الزواج وعدم المغالاة في المهر
٣١	الحادي عشر: الاجتماع على الطعام

- الثاني عشر: التسمية عند الأكل ٣٢
- الثالث عشر: الأكل من جوانب الطعام ٣٣
- الرابع عشر: لعق الأصابع بعد الأكل ٣٤
- الخامس عشر صلة الرحم ٣٥